الامم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من
اطاع الله وشقاوة من عصاه واليه الاشارة بقوله تعالى انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فانظر كيف نبه سبحانه وتعالى
في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن هذا هو الغاية في براعة الاستهلال
هذا مع ما اشتملت عليه من الفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة
ومن مستقبحات الابتداء قول البحتري حيث انشد يوسف بن محمد
قصيدته التي اولها لك الويل من ليل تقاصر اخره فقال له لك الويل والحرب
ومن ذلك قول اسحاق الموصلي حين دخل على المعتصم وقد بنى قصرا
بالمدين فانشده

يا دار غيرك البلى ومحاك ... يا ليت شعري ما الذي ابلاك

فتطير المعتصم بهذا المبدا وامر بهدم القصر ومن ذلك ما حكي ان ابا نواس
لما مدح الفضل بن يحيى بقصيدة اولها ارتع البلاء ان الخشوع لباد
تطير الفضل من هذا الابتداء فلما انتهى الى قوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم ... بني برمك من رائح ومغاد

استمكم تطيره فلم يمض ذلك الاسبوع حتى نكب وحكي ان الرشيد لما انشد
لمعاوية قوله

اذا مت مات الجود واقفر الندى ... ولم يبق الا من قليل مصرد

قال معاوية ما زدت على ان نعيت على نفسي وحكي ان ذا الرمة دخل
على بعض خلفاء بني امية فطلب منه ان ينشده من شعره فانشده
ما بال عينك منها الماء ينسكب ... فقيل وكانت عين الخليفة فذلك
الوقت قد اصابها رمد فاستقبح هذا المطلع وقطع عليه الانشاد وطرده

واذا

واذا اردت ان تنظر الى تفاوت درجات الكلام في هذا المقام فانظر
الى اسحاق الموصلي في البيت المتقدم كيف جاء الى قصر مشيد وسرور جديد
فخاطبه بما تخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال
يا دار غيرك البلى ومحاك فاحزن في موضع السرور واجرى كلمة على
عكس الامور وانظر الى قول القطامي

انا محيوك فاسلمي ايها الطلل ... وان بليت وان طالت بك الطيل

كيف جاء بالطلل بالرسم خالي فاحسن حين حياه ودعا له بالسلامة
كالمتنزه برونق محياه فلم يذكر دروس الطلل وبلاه حتى انس السامع
بلفظ التحية وذكر السلامة والذي فتح هذا الباب واطنب فيه
غاية الاطناب صاحب اللواء ومقدم الشراحيث قال

الا عم صباحا ايها الطلل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وهل يعمن الا سعيد مخلد ... قليل الهموم ما يبيت باوجال

قيل وهذا البيت الاخير يحسن ان يكون من اوصاف الجنة لان السعادة
والخلود وقلة الهموم والاوجال لا توجد الا في الجنة تنبيه
سمي هذا النوع من البديع براعة استهلال لان المتكلم يفهم
غرضه من كلامه عند ابتدائه رفع صوته به ورفع صوته هو
الاستهلال يقال استهل المولود صارخا اذا رفع صوته عند الولادة
واهل الحجيج اذا رفعوا اصواتهم بالتلبية وسمي الهلال هلالا
لان الناس يرفعون اصواتهم عند رويته فيقولون هذا الهلال
الاستشهاد الثاني على احد اقسام التجنيس اللاحق وقد تقدم
انه تسعة اقسام والذي منها في هذا البيت التجنيس الواقع بين فعلين

Copyright Reading University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)